الجمـل

كانت الرياح الخريفية تهب محمّلة بالأتربة والغبار في ضحى ذلك اليوم، بينما الجنود الأحباش يسوقون أمامهم قطيعًا من النوق في اتجاه البحر، يلهبون مؤخراتها بالسياط، تشرئب بأعناقها الطويلة تلتفت يمنة ويسرة، فزعة من البحر وأمواجه المتلاطمة، تركض مذعورة، تصدر دمدمة بأخفافها، تضيع صيحات الجند الأحباش وسط جلبة القطيع، ثمة شيخ هرم كان يجلس يراقب الأحداث عن كثب، وعندما شاهد القطيع يقترب من باب الميناء صاح في رفيقه متسائلًا:

ـ إبل من هذه يا فضيل؟

أجابه: إنها إبل بو المخمس المصموتي.

ـ وإلى أين يسوقونها؟

ـ إلى الميناء ومن ثم يرحلونها إلى روما.

كان ثمة عجوز آخر يجلس في كآبة وغضب يحملق في النوق يتمتم في حسرة:

ـ ما بي مرض غير سرقة كحيله.

ما بين يوم وليلة.

وعدو تخاف يعدمك قبل ما تشتكي له.

ما إن اقتربت النوق من باب الميناء الرئيسي، حتى اعترض سبيلها جمل فحل، لم يدعها تدخل، كان يرغو ويزبد، يلوي رقبته الطويلة ناحية اليمين وناحية اليسار،يرفض دخول النوق من الباب أسواط الجند تلهب ظهر الجمل، الوقف أمام النوق، فطن أحد الأحباش إلى أنه ما أن اقترب من الجمل والسوط في يده حتى هز الجمل رأسه وشرر الغضب يتطاير من عينيه، أسرع الجندي ولاذ بالفرار، خوفًا على حياته باحثًا عن زملائه الذين ولوا الأدبار في رعب وفزع، بينما الجمل تسمر صامدًا أمام الباب الرئيسي للميناء والنوق امتثلت لأمره.

لم تمض دقائق حتى أقبلت سيارة عسكرية إيطالية، ترجل منها بضعة من عساكر طليان، تجمهر بعض الأهالي يراقبون ما يحدث، أقبل عمال الميناء وهم يتساءلون:

ـ ماذا هناك؟

النوق واقفة تتلفت في ذعر وفزع، والجمل يسد أمامها فتحة الباب في عناد وتحد، وهو لا يدري ما يدبر ضده في هذه الأثناء، جرى جدال بين الضابط الإيطالي وجنوده، ثم اتجه نحو عمال الميناء يتحدث بالإيطالية والمترجم يترجم ما يقوله: أيها المواطنون تنعقد أمامكم المحكمة الصورية الإيطالية اليوم، لمحاكمة هذا الجمل العاق بتهمة عصيانه أوامر الحكومة الإيطالية، ولذا نحكم عليه بالإعدام رميًا بالرصاص حتى الموت، وبعد تلاوة حكم المحكمة، تعالى هرج ومرج بعض الأهالي الحاضرين، لكن الجنود الطليان صوبوا بنادقهم نحو الجمل الضخم، في صلف وكبرياء، من على بضعة أمتار أعطى الضابط الإيطالي أوامره للجنود

بالرمي على الجمل، بعد برهة دوى أزيز الرصاص، وانهال على جسد الجمل الذي أخذ يرغو ويصيح، حتى تكوم أرضًا متسربلًا بدمائه الغزيرة وقد أصبح جسده مثل الغربال من الرصاص، أطلق الجمل رغاء مدويًا وهو يخبط بأرجله الأرض، كان الجمل قد سقط صريعًا بينما النوق تنسحب مذعورة تدخل الميناء والجند يلهبون ظهورها بالسياط.